برك سليمان

تُعد برك سليمان من أهم المعالم التاريخية والمائية في فلسطين، وتقع جنوب غرب مدينة بيت لحم بالقرب من قرية أرطاس وبلدة الخضر، وعلى الطريق التاريخي الرابط بين القدس والخليل. تبعد نحو 3.5 كيلومترات عن بيت لحم، وقد اختير موقعها بعناية في منطقة تتجمع فيها المياه بشكل طبيعي بين الجبال.

تتكون برك سليمان من ثلاث برك ضخمة متدرجة، ترتفع كل واحدة عن الأخرى بحوالي ستة أمتار. يتراوح طول البرك بين 118 و179 مترًا، ويتراوح عمقها بين 8 و23 مترًا، وتبلغ سعتها الإجمالية أكثر من 250 ألف متر مكعب من المياه. وقد شُيّدت هذه البرك بأسلوب هندسي يجمع بين نحت الصخر والبناء بالحجارة، وتعتمد في عملها على نظام الانحدار الطبيعي، حيث تنتقل المياه من البركة العليا إلى الوسطى ثم السفلى.

لم تكن برك سليمان مجرد خزانات للمياه، بل شكّلت جزءًا من نظام مائي متكامل يُعد من أعظم الأنظمة المائية في التاريخ القديم. كانت مصادر المياه تشمل الينابيع الطبيعية ومياه الأمطار، إضافة إلى قنوات مائية تمتد من المناطق الجبلية. وقد ارتبطت هذه البرك بشبكة قنوات رئيسية يصل طولها إلى نحو 80 كيلومترًا، كانت تنقل المياه إلى القدس وبيت لحم، إضافة إلى قصر هيرودس المعروف بالهيروديوم. وقد اعتمد هذا النظام على حسابات دقيقة في الانحدار، ما يعكس مستوى متقدمًا من المعرفة الهندسية.

من الناحية التاريخية، يُرجح أن بناء البرك بدأ في العصر الحشموني في القرن الثاني قبل الميلاد، ثم جرى تطويرها وتوسيعها في عهد الملك هيرودس الكبير. وعلى الرغم من تسميتها ببرك سليمان، لا توجد أدلة علمية تثبت أن النبي سليمان هو الذي أنشأها، وإنما ارتبطت به في التراث الشعبي. في العصر الروماني، تم توسيع شبكة القنوات، ويُنسب إلى الوالي الروماني بيلاطس البنطي تنفيذ مشاريع إضافية لنقل المياه إلى القدس.

في العصر المملوكي، شهدت البرك أعمال بناء وصيانة، ويُعتقد أن البركة السفلى أُنشئت في تلك الفترة، تحديدًا في أواخر القرن الخامس عشر. أما في العصر العثماني، فقد حظي الموقع باهتمام كبير، حيث أُعيد ترميم البرك، وبُنيت قلعة مراد عام 1618 لحماية مصادر المياه وتأمين الطريق، وكانت تُستخدم أيضًا كمحطة للقوافل وثكنة عسكرية.

استمر استخدام برك سليمان في تزويد القدس بالمياه حتى عام 1967، وبعد ذلك تراجع دورها نتيجة التغيرات السياسية وتطور أنظمة المياه الحديثة. في الوقت الحاضر، تُستخدم بشكل محدود لتزويد بعض مناطق بيت لحم، كما تُعد موقعًا سياحيًا وتراثيًا مهمًا.

تحيط بالبرك معالم تاريخية وطبيعية بارزة، من أهمها قلعة مراد التي تحولت اليوم إلى موقع تراثي، ووادي أرطاس الذي يُعرف بخصوبته الزراعية ويُشار إليه في بعض الروايات باسم حدائق سليمان. وقد لعبت هذه المنطقة دورًا مهمًا في النشاط الزراعي والحضاري عبر العصور.

تمثل برك سليمان نموذجًا فريدًا للعبقرية الهندسية القديمة، حيث أُنشئ نظام مائي متكامل يعمل دون الحاجة إلى مضخات، معتمدًا على الجاذبية الطبيعية. كما أنها شكّلت عنصرًا أساسيًا في دعم استقرار التجمعات السكانية في القدس وبيت لحم، واستمرت في أداء هذا الدور لأكثر من ألفي عام، ما يجعلها شاهدًا حيًا على استمرارية الحضارة في فلسطين.

رغم أهميتها، تعرضت البرك لفترات من الإهمال والتدهور، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت محاولات لترميمها وإعادة الاعتبار لها كموقع تاريخي وسياحي. وتبقى برك سليمان رمزًا من رموز التاريخ المائي والحضاري في فلسطين، ودليلًا على التفاعل العميق بين الإنسان والبيئة عبر العصور.